

مجمع الأمثال

1732 - زُرُّ غَيْبًا تَزْدَدُ حُبًّا .

قال المفضل : أول من قال ذلك مُعَاذُ بْنُ صِرْمٍ الْخُزَاعِيَّ وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ عَكٍّ وَكَانَ فَارِسَ خَزَاعَةَ وَكَانَ يَكْثُرُ زِيَارَةَ أَخُوَالِهِ قَالَ : فَاسْتَعَارَ مِنْهُمْ فَرَسًا وَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ جُحَيْشُ بْنُ سُودَةَ وَكَانَ لَهُ عَدَاوَةٌ : أَتَسَابِقُنِي عَلَى أَنْ مَنِّ سَبَقَ صَاحِبَهُ أَخَذَ فَرَسَهُ ؟ فَسَابَقَهُ فَسَبَقَ مُعَاذٌ وَأَخَذَ فَرَسَهُ جُحَيْشٌ وَأَرَادَ أَنْ يَغِيظَهُ فَطَاعَنَ أَيُّطَالَ الْفَرَسَ بِالسَّيْفِ فَسَقَطَ فَقَالَ جُحَيْشٌ : لَا أُمُّ لَكَ قَتَلْتَ فَرَسًا خَيْرًا مِنْكَ وَمَنْ وَالِدِيكَ ؟ فَرَفَعَ مُعَاذُ السَّيْفَ فَضْرَبَ مَفْرَقَهُ فَقَتَلَهُ ثُمَّ لَحِقَ بِأَخُوَالِهِ وَبَلَغَ الْحَيِّ مَا صَنَعَ فَرَكَبَ أَخٌ لَجَحِيشٍ وَابْنُ عَمٍّ لَهُ فَلَحِقَاهُ فَشَدَّ عَلَى أَحَدِهَا فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ وَشَدَّ عَلَى الْآخَرِ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ وَقَالَ فِي ذَلِكَ : .

ضَرَبْتُ جُحَيْشًا ضَرْبَةً لِلنَّيْمَةِ ... وَلَكِنْ بِصَافٍ ذِي طَرَائِقٍ مُسْتَدَكٍّ .
قَتَلَتْ جُحَيْشًا بَعْدَ قَتْلِ جَوَادِهِ ... وَكُنْتُ قَدِيمًا فِي الْحَوَادِثِ ذَا فَتَكٍ .
قَصَدْتُ لِعَمْرٍو بَعْدَ بَدْرٍ بِضَرْبَةٍ ... فَخَرَّ صَرِيحًا مِثْلَ عَائِزَةِ النَّسُكِ .
لَكِي يَعْزَلُ الْأَقْوَامُ أَنِي صَارُمٌ ... خُزَاعَةُ أَجْدَادِي وَأَنْمَى إِلَى عَكٍّ .
فَقَدْ ذُقْتُ يَا جَحْشُ بْنُ سَوْدَةَ ضَرْبَتِي ... وَجَرَّ بَتْنِي إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي شَكٍّ .

تَرَكْتُ جُحَيْشًا ثَاوِيًا ذَا نَوَائِحٍ ... خَضِيبَ دِمِ جَارَاتِهِ حَوْلَهُ تَبْكِي .
تَرَنَّ عَلَيْهِ أُمُّهُ بِأَنْتِ حَايَهَا ... وَتَقْشِرُ جِلْدَيْ مَحْجَرِيَّهَا مِنَ الْحَكِّ .
لِيَرْفَعَ أَقْوَامًا حُلُولِي فِيهِمْ ... وَيُزْرِيَ بِقَوْمٍ - إِنْ تَرَكْتَهُمْ - تَرْكِي .
وَحَمْنِي سَرَاعَةَ الطَّرْفِ وَالسَّيْفِ مَعْقَلِي ... وَعَظْمِي غِبَارُ الْحَرْبِ لَاعِبَقُ الْمَسْكِ .

تَتَوَقَّعُ غَدَاةَ السَّرْوَعِ نَفْسِي إِلَى الْوَغَى ... كَتَوَقَّعَ الْقَطَا تَسْمُؤِي إِلَى الْوَشَلِ الرَّسَكِ [ص 323] .

وَلَسْتُ بِرِعْدٍ إِذَا رَاعَ مُعْضِلٌ ... وَلَا فِي نَوَادِي الْقَوَمِ بِالضَّيْقِ الْمَسْكِ .
وَكَمْ مَلِكٍ جَدَّ لَتُّهُ بِمُهَنْدٍ ... وَسَابِغَةٍ بِيَضَاءِ مُحْكَمَةِ السَّكِّ .

قال : فَأَقَامَ فِي أَخُوَالِهِ زَمَانًا ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مَعَ بَنِي أَخُوَالِهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ فِتْيَانِهِمْ

يتصيّـدُونَ فحملَ معاذَ على عـِيرٍ فلحـرقه ابنُ خـالٍ له يقال الغـضبانُ فقال : خـلّـي عـن
العـيرِ فقال : لا ولا نـعمت عـين فقال له الغـضبانُ : أـما واللّـه لو كان فيك خـيـرٌ لما
تركـتَ قومكُ فقال معاذ : زُرْ غـيـباً تـزـدّدُ حـباً فأرسلها مثلاً ثم أتى قومَه فأراد أهلُ
المقتول قتلَه فقال لهم قومَه : لا تقتلوا فارسَكم وإن ظلم فقـبـلوا منه الدّـريـة .
ومن هذا المثل قال الشاعر : .

إذا شئتَ أن تُقـلـمَ فـزُرْ مُتـوا تـرا ... وإن شئتَ أن تـزـدّدَ حـبـاً فـزُرْ
غـيـباً .

وقال آخر : .

عليك بإغـابِ الزّـيـارة إنـهـا ... إذا كـثـرتْ كـانـتْ إلى الـهـجـرِ مـسـلـكـاً .
ألم تـرَ أن القـطـرَ يُسـأـمُ دأئـماً ... ويُسـأـلُ بالأيدـي إذا هـوَ أـمـسـكـاً